والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له
روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون
اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر
النفس والاحتمال والحلم والثبات ——— وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها
وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب
واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول
الحق الواجب **واما** خلق العفة فيصدر منه السخا والحيا والصبر والمسامحة والقناعة والورع والصيانة
والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط او التفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل
للاغنيا واستحقار الفقرا وغير ذلك وامهات ——— محاسن الاخلاق هذه الفضايل الاربع
وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه عليه السلام في هذه
الاخلاق فهو قريب من الله عز وجل بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه
الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال
ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد
قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به
ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال عليه السلام
وقد اشار القران الى هذه الاخلاق في اوصاف المومنين فقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا الاية فالايمان بالله تعالى ورسوله من غير ارتياب ثمرة قوة النفس وهو ثمرة العقل
ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخا الذي ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة يرجع الى
التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة رضي
الله عنهم فقال ——— سبحانه اشدا على الكفار رحما بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا
وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه
وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة** اعلم
ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب
الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور
تغيرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق

صورة الظاهر والخليقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير
يقدر على ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الخلقي الباطن يجري
هذا المجرى **والثاني** انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة
وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير
فايدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت
الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال ——— رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق اخلاق الادمي وتغير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل
الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التادب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك
تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطا عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل لاختيار
الادمي في اصله وتفصيله كالسما والكواكب بل اعضا البدن داخلا وخارجا وساير اعضا الحيوانات
وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة
قبول الكمال بعده ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا
انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلة اذا انضاف اليه التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية
فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى يقبل بعض الاحوال دون بعض وكذلك الغضب والشهوة
لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقهرهما
بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم
الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطية القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة
الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والفكر موجود من الانسان
ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة يخلق
له الشهوة قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد
كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب **الاولى** ان الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق
والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تتم ايضا شهوته
باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث من نفسه يحمله
على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان **والثانية** ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل
الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلا الشهوة
عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما
رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة

ثم بعد سبع سنين يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق

Copyright © King Saud University